

السياسة الفرنسية في مواجهة الثورة الجزائرية التّظيمات الإرهابية هيكلتها وتنظيمها

أ. شرقي الرزقي

جامعة تلمسان

تمهيد :

لا أحد يمكنه اليوم نكران، أو تجاهل ألوان التّعذيب خلال ثورة الفاتح نوفمبر 1954، وما تجرّعه أفراد الشعب الجزائري الأعزل من إعدام بلا محاكمة، وإبادة شاملة لقبائل، وأعراش، ومداشر بكاملها من غير سبب، والتشويه الخلقي العمدي، كبت بعض أعضاء الجسم الإنساني، أو إتلافها بالحرق ونحوه من لدن أوغاد محترفين ساعة عمليات الاستتطاق غير المؤسّس، وعمليات غسل الدّماغ، وتعليل حالات القتل تحت التّعذيب الشّديد بالانتحار الجبان في مراكز التّعذيب والاستتطاق، خوفاً من وقع المحاكمة الصّورية، كما تشييعه سلطات الاحتلال في مختلف القنوات الإعلامية، وإقامة المحتشدات، والمعتقلات الجهنمية، فضلاً عن استخدام الأسلحة المحظورة دولياً، والاعتقال العشوائي بطعن الضّحايا في الظهر، وغيره¹. ولكن من يُصدّق مقولة أنّ هذه الأفعال الشّنيعة، وما شابها وليدة تصرفات ومبادرات فردية معزولة غير مؤسّسة، ولا مسؤولة؟!

1 -خلفيات بناء التّنظيمات السّرية لمواجهة الثّورة: يبدو أنّ نجاح مؤتمر "الصّومام" قد أخلط الأوراق الفرنسية، خلطاً فقدت معه فرنسا توازنها، وأصبحت ردودها عشوائية مشتتة على أكثر من صعيد أحياناً، ومتناقضة تماماً أحياناً أخرى، فعلى الصّعيد العلني مثلاً، حاولت فرنسا إفراغ الثّورة من محتواها

الحقيقي، وهو الاستقلال، وتلفيق لها رداء الاحتجاج الاجتماعي الجماهيري السّاخط على ظروف اقتصادية ظرفية قاسية حسب زعمها الباطل.

وعليه، فإن اللّجوء إلى فتح مشروع الإصلاح الاقتصادي، ومراجعة النّظام الإداري بالجزائر من شأنه إمتصاص غضب الجماهير، وعزل الثوار المرابطين في قمم الجبال عن بقية أفراد الشّعب، حيث تصبح مسألة القضاء عليهم بشنّ حملات عسكرية مكثّفة على مواقعهم في موازاة الإصلاحات المزعومة، مسألة وقت لا غير، وبذلك يمكن لفرنسا أن تؤكّد تصريحاتها الموهودة أمام الرّأي العام الدّولي على أنّ ما يجري في الجزائر ليس بثورة شعبية عارمة كما يروّج البعض، وإنّما هي مناوشات معزولة، ميؤوس من أمرها، حيث تحترفها جماعات من قُطاع الطّرق، والخارجون عن القانون، لا أكثر.

ولكن من سوء حظّ الحكومة الفرنسية المصابة بمرض قصر النّظر نسيت تماما بأنّها زرعت قنبلة موقوتة في صفوف المعمّرين بالجزائر منذ نحو قرن تقريبا، بل بالأحرى منذ ساعة دخولها أرض الجزائر عام 1830، حيث كانت خطابات قادتها العسكريّين المتشبّعة بروح القسوة والعدوانية تجاه الأهالي، تُلهب ضمائر هؤلاء المعمّرين بروح الانتقام، والإبادة الشّاملة للشّعب الجزائري المسالم. شأن تعليمات اللّواء "روفيغو" التي منحها إلى أحد

عُقدائه، ألا وهو العقيد "كلوزيل"، الحاكم الفرنسي العام آنذاك بالجزائر، حيث قال له في معرض خطاب جماهيري، شعبي ألقاه بمدينة "بوفريك"، وفي حضور هذا الحاكم قائلاً: "عليكم بممارسة سياسة إخوانكم في العالم الجديد لنصنع أمريكا جديدة، يعيش فيها العنصر الأوروبي الرّاقى، ونُفني الجزائريين، كما أُنفي الهنود الحمر في العالم الجديد"².

فمثل هذه التّحرّشات، وغيرها، المتواصلة بلا انقطاع منذ ذلك الحين، ولّدت لدى المعمّرين الأوروبيين في الجزائر قناعة راسخة، مفادها أن مجرد الخوض في نقاش عن مثل هذا المشروع الدّي عرضته حكومة "منداس فرانس"، لا يُقابل بالرّفْض فحسب، وإنّما يمكن إدراجه في خانة الخيانة العظمى، والتّأمر على مصالح الأمة. ولذلك كان تصنيفهم لمشروع "منداس" بمثابة السّابقة الخطيرة، وأنّه تنازل فضيع يسيء إلى شرف الأمة الفرنسية. وهبّوا من حينهم إلى رفع الشّعارات المناوئة للحكومة المركزية بفرنسا، وراحوا يكتّفون من نشاطاتهم، ويصعدّون في أساليبهم الاحتجاجية من أجل الإطاحة برئيس الحكومة "منداس - فرانس"، وبالتالي بباقي أعضاء طاقم حكومته، متهمين إياه بمحاولة ضرب الديمقراطيّة، وإثارة بذور الشّقاق في صفوف الوطن الأم³ وتمادى بهم مسار الاحتجاج والضعف إلى حدّ هيكلة أنفسهم في حركة كبيرة عُرفت بـ: "فدرالية شيوخ بلديات الجزائر"، حيث

بعثوا وفدا نيابة عنهم إلى فرنسا قصد عرض لوائح مطالبهم الاحتجاجية، التي صاغوها في ثلاثة مطالب أساسية⁴ :
- الإعراض عن الإصلاحات المزعومة في الجزائر، لأنّه من شأنها أن تجعل الجزائر تونس ثانية بالمنطقة على حسب اعتقادهم.
- التّعجيل بإرسال فيالق الجيوش المحترفة في حرب العصابات لخوض غمار الحرب الفعلية بالجزائر.

- تدعيم المعمّرين بقروض من ميزانية الوطن الأم فرنسا .
عندها لم يجد رئيس الحكومة الفرنسية مَنفذاً لورطته، غير الانصياع لمطالب المحتجين بقوة، قصد ضمان بقاء استمرارية طاقمه الحكومي، وأصدر قرارا بتاريخ 25 جانفي 1955م، يتضمن تعيين المتطرّف "جاك سوستال" (Jacques Soustelle) " حاكما عاما للجزائر، وكذا دمج جهاز الشّركة الفرنسية في الجزائر بالشّركة الأم في فرنسا، وهو الجهاز الموكّل له قمع واضطهاد الشّعب الجزائري الأعزل بكلّ ما أوتي من قوة أي بعبارة أوضح، ترجيح الشّطر الثّاني من مقترحه الذي عرضه في السّابق على مسامع أعضاء الجمعية العامّة الفرنسية (هيئة البرلمان) في معالجة المعضلة الجزائرية، فاتحا بذلك المجال على مصراعيه أمام ميلاد وانتشار التّظيمات السّرية الإرهابية في الجزائر⁵

2 - تقنين الأنشطة الإرهابية بالجزائر:

لم يتوقف قرار الحكومة الفرنسية عند حدّ الاستجابة لكلّ مطالب المحتجّين الأوروبيين المقيمين في الجزائر من غير إعاقة أدنى اهتمام لمصير الجزائريين المهدّدين في ممتلكاتهم، وأعراضهم، وأرواحهم فحسب، وإنّما تعدّاه إلى عمليات التأسيس التنظيمي، والهيكلي للفعل الإجرامي بالجزائر، كما سيتمكن تتبّع ذلك بشيء من التفصيل في الفقرات اللاحقة.

ففي الجلسة الوزارية المنعقدة بتاريخ 15 مارس 1955، تقرّر اعتماد قانون جويلية 1938 في الجزائر لقمع الثورة الشعبيّة المضفّرة، التي نعتوها آنذاك باصطلاح سياسيّ مريب هو: "أحداث الجزائر". وهو القانون الذي اعتمدته فرنسا في تدبّر شؤونها الداخليّة قبيل الاجتياح الألماني لأراضيها خلال الحرب العالميّة الثانيّة)⁶. ثمّ إعلان حالة الطوارئ بموجب قانون 03 أفريل من نفس السنّة، واستصدار عشرين 20 وثيقة تشريعية أخرى في عقبه، تشرح، وتنظّم كيفية تطبيقه في الجزائر، كان من جملتها إعادة إحياء تقنين المصادرة العسكريّة المطبّقة على أملاك الشعب الجزائري في عام 1877، وحظر استرداد العقاقير الطّبيّة، وضرب رقابة مشدّدة عليها ساعة توزيعها واستخدامها، وكذلك قرارات منع خروج وإرسال الصّور والأفلام الصحفيّة المتعلّقة بتغطية ما أسمته كما سلفت الإشارة

منذ قليل بأحداث الجزائر، وتنظيم تعويضات خسائر وإصابات الحرب، وما إلى ذلك من القوانين المشرّعة لحرب حقيقية⁷.
وتمّ بموجب ذلك تحويل صلاحيات جدّ واسعة لمختلف الأجهزة الأمنية المتضافرة الجهود في سبيل إجهاض ثورة التحرير بكلّ السُّبل المتوفّرة، حتّى وإن لزم الأمر تطبيق مقولة اللّواء "روفيغو" الأنفة الذّكر، مادام أن الموقف الآن أصبح يستدعي تطبيق مبدأ "الغاية تبرّر الوسيلة" في ظلّ ترسانة قانونية محبّوكة، حبكا جيّدا لحماية الجلاّد، وتبرير أعماله الإرهابية الشّنيعة من خلال صبغها بصبغة تطهير المجتمع من حثالة الخارجين عن القانون حسب زعمهم الباطل.

3 -مدارس التّكوين في العمل الإجرامي :

إنّ فنون التّعذيب والتّكيد، التي كانت فيما مضى عملا دمويا ارتجاليا، متوقّفا بالدّرجة الأولى على خبرة الفرد، ومدى حقه وتعطّشه لدماء وأجساد الجزائريين، سرعان ما شُيّدت له هياكل تكوينية مُحترفة منذ السّاعات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية. وشيئا فشيئا، ظهرت منظمة "دوب (DOP)" للإشراف عليه من حيث اختيار أماكن مراكز التّعذيب، وتوفير لها الأساتذة الأكفاء من شرذمة المرتزقة الأنذال، وتقنين سيرها، ومواصلة البحث لإنشاء لها فروع ومحطّات عبر مختلف بؤر التّوتر عبر التّراب الوطني. كلّ ذلك في إطار عمل سرّي، يشبه إلى حدّ بعيد نشاط

المخابرات النازية "الغاستابو"، أثناء الحرب الكونية الثانية⁸. وقد أدلى في هذا النّسق العام، أحد الجنود الذين تكوّنوا في أحد هذه المراكز اللّعينة بين سنتي 1958 - 1959 بفعل وخزة تأنيب الضّمير له بمقصورة الشّهادة المسيحية، قبل أن تطلّع على شهادته تلك، جريدة "العالم" (le Monde) الفرنسية، وتهرع إلى نشرها على ظهر الصّفحة العاشرة من عددها الصّادر بتاريخ 21 ديسمبر 1959، هذا مقتطف منها: "... كيف لا تقع المسؤولية على عاتق كلّ الجهات الرّسمية؟! وهناك بمدرسة مثل مدرسة سكيكدة مركزا للتّدريب على حرب التّدمير بمعسكر جان دارك المكتظ... كانوا يشرحون لنا أثناء الدّرس المتعلّق بتقنيات استقاء المعلومات عن طريق التّعذيب الإنساني. وهذه المذكرات التي دوّنتها من دروس الكبّتن "ل"، والمملّخة في خمس نقاط رئيسية: يجب أن يكون التّعذيب نظيفا؛ ألاّ يُجرى على مرأى من الصّغار؛ ألاّ يُجرى على مرأى من الفجّار ❖ أن يجرى تحت ضابط مسؤول؛ أن يكون إنسانيا، أعني إنهاؤه حال إقرار المُستجوب، وأن لا يترك التّعذيب أثرا. بهذه الشّروط وبالنتيجة المطلوبة لكم الحقّ باستخدام الماء، والكهرباء؛ هذا ما دوّنته ساعة تحدّث الأستاذ"⁹. وبعد الفراغ من نشر شهادة هذا العسكريّ التّائب، جاء تعقيب ذات الصّحيفة عليه كالآتي: "ويُستفاد من أخبار وصلت إلينا أنّ هذا النّوع من الدّروس حول التّعذيب، ما زالت تُلقَى في معسكرات

(جان دارك) ، وبحضور طبيب عسكري، وظيفته قياس الرّدود الفيزيولوجية للمُسْتَجَوِب. كما، علّم منذ أسابيع أنّ تلقين الدّروس قد انتقل إلى أرزيو بعمالة وهران¹⁰.

4 -التّظيمات السّرية الفرنسية بداخل الوطن وخارجه:
في الوقت الذي كان فيه الحاكم العام الجديد للجزائر "جاك سوستال"، المدعو من جانب رئيس حكومته "منداس فرانس" إلى إعادة إحياء مشروع الإصلاح الملغى من قبل، ألا وهو مشروع عام 1947م بعد إعادة تلميحه حتّى يُواكب مسار الأحداث الرّاهنة في ذلك الوقت، يُمخر عباب البحر نحو مدينة الجزائر، كانت فدرالية شيوخ بلديات الجزائر بقيادة زعيمها المتطرف "بورجو" (Borgeau) صاحب مقولة: "لا لأيّ إصلاح بالجزائر" قد حصدت ثمار ما زرعه في الآونة الأخيرة على أكثر من صعيد. وقد توجه "روني مايور" (Rene Mayer) ، مُمثلاً عنها إلى فرنسا قصد مقارعة "منداس فرانس" بباريس، والذي تُوجت مساعيه الخبيثة، للإطاحة برئيس الحكومة، وإجهاض مشروع تصفية الشّركة الفرنسية بالجزائر من العناصر المتشدّدة، والمعادية للأهالي. ذلك المشروع الذي باشر تنفيذه برفقة وزيره للدّاخلية "فرانسوان ميتيرون" (François Mitterrand) "آنذاك، ولاسيما منها مديرية الاستعلامات العامّة، التي كانت ترضخ تحت هيمنة السفّاح "لاكوست" (Lacoste) ، الموالي لتّظيم "بورجو" المتطرف¹¹

هذا عَمَّا جرى في الضَّفة الشَّمالية من البحر الأبيض المتوسط على وجه الإجمال والاختصار، أمَّا ما حدث في الضَّفة الجنوبية، فإنَّه ما كاد ينزل "جاك سوستال" بمدينة الجزائر، حتَّى شاعت دعاية مغرضة مناهضة لقدمه بفضل تناقلها همسا من فم إلى أذن في أوساط المعمرين، وقد كان فحواها العام هو أنَّ الحاكم "سوستال" ليس بفرنسي حقيقي، وإنَّما اسمه الأصلي هو "ابن سوسان (Ben Soussan)"، وأنَّه يهودي سامي، تلك التَّهمة التي كانت كافية لتقويض، وتآليب العنصر الأوروبي المقيم في الجزائر عليه بوصفه ابن عمَّ للعرب الأهالي. ومُنْع الجمهور على استقباله، ولم يُسمح إلَّا لِثَلَّة قليلة من الموظفين الرِّسميين، المُلْزمين بموجب الأعراف البروتوكولية، ملاقاته بترحيب فاتر، ومُحتشم للغاية¹².

وكان بذلك توقيع شهادة وفاة مشروع "منداس فرانس"، أو بالأحرى مشروع عام 1947م في بذلته المُجددة إلى الأبد، وتهيئة الأجواء للنَّشاط الإرهابي الفضيعة، نُزلا عند رغبة تجار الموت الدِّين هبَّوا إلى تشكُّيل منظمات سرِّية، ما فتئت تتنامى، وتتكاثر كأنَّها سرطان، وتعقَّدت شبكات، وقنوات نشاطها إلى حدِّ اختلاط أمرها عن منشئها أنفسهم.

أ). التَّنْظيم الائتلافي المشترك :

سقطت حكومة "منداس فرانس" إذن، وعاد حاكمها بالجزائر "جاك سوستال" أدراجه إلى ما وراء البحر، أمام تعنَّت

أنصار الجزائر فرنسية من المعمّرين المتطرفين أمثاله، وخلفتها حكومة "غي مولي (Guy Mollet) "الذي وصف الوضع في الجزائر بأنه: "الخطب الأعظم، والجرح المؤلم"، قبل أن ينتقل إلى الإفصاح عن خطة حكومته في معالجة المعضلة، حيث قال " : إنّ إرادة الحكومة هو استتباب الأمن في المقام الأوّل، وتحرير العقول من الخوف المتبادل، الشّيء الذي يستدعي منّا ضرورة القضاء على الإرهاب، والاضطهاد الأعمى، واستكمال مسار التّطور الديمقراطي للمؤسسات، وإحلال التّعايش بين أفراد الشّعب، قصد ضمان التّمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، والتي من شأنها تأكّيد، وتمتّين الوحدة التي تجمع الجزائر بفرنسا في موازاة الاعتراف، واحترام الشّخصية الجزائرية، وتحقيق المساواة السياسية الكاملة بين جميع سكان الجزائر . . . وعلى الجمعية العامة التّأكيد علانية بأنّ مصير الجزائر النّهائي ليس بيد طرف معين دون غيره، وعدم الرّضا بحلول القوّة المفروضة قصرا، وبتسلّط عنصر من عناصر الشّعب على أنّه الوصي، المخوّل له إملاء مفاهيمه عن البقية... وعليه فإنّ الحكومة تعتزّ بتنظيم استفتاء عن طريق الاقتراع الحرّ في الآجال القريبة"¹³.

إلا أنّ هذا التّصريح المطوّل الذي أدلى به رئيس الحكومة الفرنسية الجديد، ما هو في واقع الأمر إلّا مغازلة سياسية ردّ بها على وقع صدى القضية الجزائرية في المحافل الدّولية لا أكثر، ولا

أقل. بل لم يزد غير الطّين بلّة في صفوف المعمرين بالجزائر، والدّي دفع بهم الأمر إلى إدراج "غي مولّي" في خانة سابقه "منداس فرانس" المغضوب عليه، وسارعوا إلى تشكّيل تنظيم إرهابي شبه عسكري مناهض للأهالي، ومُقاطع لكلّ إصلاح اجتماعي، أو إداري في الجزائر.

فقد تحرّك أنصار وأتباع "بورجو" بالتّسيق مع نشطاء "لجنة عقلاء المحاربين الفرنسيين القدماء بالجزائر" إلى تنظيم حركة احتجاجية جماهيرية مهولة، عبّروا من خلالها على أنّهم ليسوا بحاجة إلى المقيم العام الجديد اللّواء "كاترو" (Catroux)، وأنّهم ليسوا بحاجة أيضا إلى تنظيم اقتراع شعبي أصلا¹⁴. ونزع منهم السّفاح "جوزيف أورتييز" (Joseph Ortiz)، أحد أتباع "بورجو" المخلصين إلى تشكّيل تنظيم إرهابي شبه عسكري لتنفيذ مهامهم الدّنيّة. وسرعان ما جمع سبعمائة (700) شخص من المعمرين المتطرفين، المتشبعين بروح الانتقام والعدوانية، وراح يخطب فيهم الخطابات التّحريضية، مُذكّرا إياهم في كلّ تجمع بضرورة إنتهاج مبادئ سياسة مورا (Maurras) البشعة، والتّمسك بأرض الجزائر، ونصب العداء لكلّ من "منداس فرانس"، و"غي مولّي"، و"كاترو"، وضرورة مواجهة "غي مولّي"، وإجباره على الاستقالة، مثله في ذلك، مثل سابقه، وتأكّيد له في كلّ مرّة تمسك المعمرين بالجزائر.

وقد رسم "أورتيز" لهذا الغرض مخططا وعصيانا مثيرا بمدينة الجزائر العاصمة، حيث تكون انطلاقته في وضع النّهار، وتحت أضواء الصّحافة الكاشفة من معلم الشّهداء التّذكاري، وذلك ساعة حضور "غي مولي" برفقة الوفد الرّسمي المرافق له للرّحيم على ضحايا حرب الجزائر. فقد قرر "أورتيز" ضرورة حضور جميع أعضاء تنظيمه السّري إلى عين المكان لاستقبال الوفد الرّسمي بالمفاجأة الكبيرة، وتحيين فرصة صعود رئيس الحكومة سلّم المعلم لوضع إكليل من الزّهور للهِتاف بأعلى الأصوات بأنّ هؤلاء الأموات قد ضحوا في سبيل أن تحيا الجزائر فرنسية، تلك الأمانة المقدسة العالقة في رقاب الأحياء من أبنائهم، وأنّ أرواحهم تنادي من داخل القبور برفض كلّ مشروع حكومي، يتنافى وما ضحوا في سبيله¹⁵.

هذا فيما يخصّ معسكر أنصار "بورجو" المتطرف، وما استقرّ عليه رأيهم حول النّشاط الموازي، أمّا بخصوص ما وقع من تحضيرات في معسكر حلفائهم من لجنة قُدماء المحاربين الفرنسيين بالجزائر، فقد تمّ عقد اجتماع مصيري بقيادة "بابا رو (Papa Roux)" ، الذي سرعان ما تخلّى عن رئاسة التّظيم للقيادة الثّنائية المشتركة بين "موشون (Mouchand)" ، "وأرنولد (Arnould)" ، وقد تمّ استدعاء المحامي "بياجي جين بابتيسست" (Jean Biaggi Baptiste) من باريس لتنشيط فعاليات الاجتماع بوصفه

عضو "كومندوس" سابق، وشخصية مُحترفة، تجيد التّفنن في عمليات الإثارة، والدّعاية المغرضة، فضلا عن ما عُرِف عليه من عُدوانية منقطعة النّظير للأهالي، وحب المشاكسة الدّائمة. والدّي وُفق إلى حدّ بعيد في هندسة عصيان متمرّد مُحكم البناء والتّنظيم¹⁶. وبذلك كان تتسيق، وتضافر نشاط التّنظيمين المتحالفين ضدّ الشّعب الجزائري الأعزل، واتفقا على أنّه في الوقت الدّي يعكف فيه "أورتيز" على إثارة الفوضى العارمة بشوارع مدينة الجزائر، ومدّها بالفعالية المفتقدة لها في موازاة مواصلة عمليات التّأطير لأفواج المنخرطين الجدد، وغسل أمخاخهم، وكذا تصعيد حدّة الضّغط الجماهيري بتكثيف التّجمعات، والتّظاهرات في النّقاط الحسّاسة من المدينة، أي بعبارة مختصرة هو إضرام نار الحرب النّفسية في الشّارع العاصمي، يقوم "بياجي" بدفع فلول المحاربين القدماء إلى الحرب مُجدّدا. وقد خاطبهم في هذا قائلًا:

" أنتم المحاربون القدماء، ضباط سابقون تخرجون وتباشرون أوّل هجوم"¹⁷.

تلك النّصيحة التي طُبّقت بحذافيرها يوم الاثنين 06 فيفري 1956م، وتواصل العمل بها لاحقا إلى غاية تحقيق الاستقلال الوطني في 05 جويلية 1962م. وسرعان ما استحوذت لجنة عقلاء المحاربين القدماء

على قيادة، وتأطير هذا التّظيم السّري، وتدير مختلف أنشطته الإرهابية بلا منازع¹⁸.

إذ تعود تفاصيل بداية نشاط هذا التّظيم السّري الإرهابي إلى يوم الاثنين 06 فيفري 1956م، تاريخ حلول "غي مولي" رئيس الحكومة الفرنسية بمدينة الجزائر قصد معاينة الوضع بأم عينه عن كثب، والدّي كان منطلق برنامج زيارته الرّسمية من زيارة "معلم الشّهداء" الغاصّ بعناصر جماعة "أورتيز" السّبعمئة (700)، وعناصر "بياجي" "الدّاهية". حيث بدا وجه رئيس الحكومة ساعة الزيارة شاحبا أكثر من المعتاد، وهو يقترب من المعلم بخطوات متثاقلة، وييده قبّاعته الرّمادية، وعلى ساعده معطفه الأسود الطّويل.

وقد كان يرافقه على اليمين "ماكس لو جون" (Max le Jeune)، وعلى يساره "جاك شوفاليي" (Jacques Chevalier)، شيخ بلدية مدينة الجزائر نفسها، ومن ورائهم طابور رؤساء الدّوائر والجنرالات، وبقية الضّبّاط السّامين الفرنسيين المتواجدين بالجزائر، إضافة إلى رؤساء الأمانات العامة. وما أن بلغ الموكب الرّسمي درجات المَعْلَم للقيام بوقفه ترحم على موتاهم، حتّى هتف رجال "أورتيز" بصوت واحد: "كاترو" "إلى البحر !!! الجزائر فرنسية !!! الجيش معنا !!! "شوفاليي" على عمود الصّلب " !!! ! ! غي مولي" إلى باريس !!! سوستال، ... سوستال"، قبل أن

يمطروا أعضاء الموكب بوابل من الأشياء القذرة كحبات الطماطم الفاسدة، وحبّات التفاح الخائرة، وقطع الطوب الملتقطة من الحقائق العمومية، وما إلى ذلك¹⁹. وما أن انتهت فصول هذه المسرحية بشوارع العاصمة، حتّى سارع الرئيس الفرنسي "روني كوتي" (René Coty) "إلى تقديم استقالته من منصب رئيس الجمهورية الفرنسية، ولحقه في اليوم الموالي اللّواء "كاترو"، احتجاجا منهما على سوء استقبال رئيس الحكومة الفرنسية بالجزائر على حسب ما أذاعته يومية "صدى مدينة الجزائر" (Echo d'Alger) "عبر صفحاتها في العدد الصّادر بتاريخ 07 فيفري 1956م. عندها صاح "أورتيز" مغتبطا: "انتصرنا"!!!²⁰.

ب (مصالح المخابرات الفرنسية:

اعترف السيّد "جورج بومبيدو" (Georges Pompidou) "يوم كان رئيس للحكومة الفرنسية، وقبل أن يعتلي عرش رئاسة الجمهورية الفرنسية، قائلاً أمام البرلمان الفرنسي بتاريخ 06 ماي 1966م حول النّشاطات الإرهابية الممارسة من طرف مختلف شُعَب المخابرات الفرنسية في سبيل قمع حركات التّحرّر بالمستعمرات الفرنسية عبر القارة الإفريقية، والقارة الآسيوية بصفة عامة، ومحاولة إخماد الثّورة الجزائرية بصورة خاصة، ما ترجمته بالحرف الواحد: "اضطر جهاز "سديك" * (SEDEC) "مدفوعا بحكم الظّروف نحو التّخصص في الأمور الاستعمارية بإفريقيا السّوداء، والهند

الصّينية، والمغرب الأقصى، وتونس، وكذا الجزائر، موطن الحرب الطّويلة، مدّة خمس عشر (15) سنة. وعلينا الاعتراف بالأمر الواقع، ولاسيما فيما يتعلّق بنشاطه خلال السّنّوات الأخيرة، حيث كان جهاز "السّديك" غير مُستعد لقبول التّأقلم مع الطّروف الحاصلة بعد اتفاقيات "إيفيان". فقد كان أعضاء، وإطارات "السّديك" من قبل في حرب مع جبهة التّحرير الوطني، ولم يعد بوسعهم إستصاغة استقلال الجزائر²¹.

وهي في الحقيقة اعترافات مبكرة، تُقيم الحجة الدّامغة على السّلطات الفرنسية بمختلف مشاربها، ولا تحتاج إلى تعليق، أو تنظيم شهادات بعض الإرهابيّين في نهاية القرن العشرين (20)، وفي مقدمتها مذكرات اللّواء السّفاح "أوساراس" المبيّنة الغاية لتأكيد ذلك.

مع اندلاع الثّورة التّحريرية الجزائرية، تصاعدت حدّة النّضال السّياسي في القطرين الشّقيقتين تونس، والمغرب الأقصى مع مستهلّ عقد خمسينات القرن العشرين المنصرم، وبدأت هذه المصلحة في تركيز عملها الدّنيء على هذه المنطقة أكثر، فأكثر، لما عرفته من توتّر متزايد يوما بعد يوم. ولكن حربها الحقيقية في المنطقة يمكن أن يؤرخ لبدايتها بالسّداسي الثّاني من عام 1956م²². أي بعد انعقاد مؤتمر الصّومام، المُفند لكل الادعاءات الفرنسية السّابقة، حيث كانت حربا قذرة بكلّ ما تحمله العبارة من معنى،

ملؤها الخيانة والغدر، والإرهاب في أبشع صوره الإجرامية، تجاه شعب أعزل ذنبه الوحيد هو المطالبة بحريته المسلوبة، والمطالبة بالاستقلال من ربة المحتل الغاصب. إذ قسّمت نشاطها على صعيدين، أولهما يمكن أن يُطلق عليه تجوّزا الصّعيد الدّاخلي، ألا وهو منطقة شمال إفريقيا، والآخر هو الصّعيد الخارجى، والمتمثل في فتح مكاتب لهذه المصلحة بمناطق الدّعم اللّجستىكى للثّورة الجزائرية بآسيا وأوروبا. ونخصّ بالذّكر العواصم العربية بالشرق، والدّول الأوروبية المتعاطفة مع القضية العادلة للشّعب الجزائري، وعلى رأسها ألمانيا وسويسرا. ولعلّ ما هو جدير بالتذكير في هذا المقام، هو تعدّد التّنظيمات المجهرية بهذه إلى حدّ لا يمكن تصوّره، وتعدّدت أسماءها، وتنوّعت مهامها، وتقاطعها فيما بينها لحدّ التّضارب بين بعضها البعض من غير أن تدري بأنّها تنتمي إلى جهاز أمني واحد²³. ولعلّ من أبرزها على الإطلاق ما يلي:

-اليد الحمراء:

إنّ تفاقم الأوضاع بمنطقة شمال إفريقيا، ولاسيما اندلاع ثورة التّحرير الوطني عام 1954 سارعت "السّديك" إلى عقد اجتماع طارئ بمدينة "الكاف" التّونسية، وقد حضر جلساته مختلف أقطاب هذه المصلحة بما فيهم السّياسيون، والعسكريّون إلى جانب ممثلي المعمرين المتطرفين بالمغرب الأقصى، والجزائر،

بل وحتى تونس نفسها، وتمّ الاتفاق بإجماع الأطراف على مباشرة العمل الإرهابي حالاً، وتسخير كلّ الوسائل المتاحة لإنجاحه ما دامت الغاية تبرّر الوسيلة في مثل تلك الظروف الحرجة. وبذلك كان ميلاد تنظيم اليد الحمراء الذي من جملة مهامه الشّنيعة التّصفية الجسدية لرواد الفكر الثوري، وزعماء الحركة التحررية بمنطقة شمال إفريقيا، وكذا إبادة الأهالي من غير مبرر. وقد أسندت مهام قيادة هذا التّظيم إلى الإرهابي الكبير العقيد "مارسيي" (Mercier) "الذي كان يُصدر أوامره بالإبادة الشّاملة في مُنتهى برودة الأعصاب"²⁴ والذي يرجع له فضل اختيار تسمية هذا التّظيم الدّموي، نيابة على الاقتراح الذي تقدم به ممثل المعمرين المتطرفين، ألا وهو "التّواجد الفرنسي" كاقْتباس من التّظيم الشّبه عسكري الذي كان ينشط من قبل في المغرب الأقصى، معللاً ذلك بأنّ طفرة اليد الحمراء قد كانت لها عدّة نشاطات جريئة، ومُشرّفة حسب اعتقاده الباطل، شأن الاغتيال الجبان الذي راح ضحيته النّقابي التّونسي البارز "فرحات حشاد" في شهر ديسمبر من عام 1952م²⁵.

وارتبط هذا التّظيم الجديد منذ ذلك الحين بالدوائر القيادية في السّلطة الفرنسية، واتسعت مهامه، ومحاولات تحركه بفضل المساندة المطلقة للتّظيم الأم (السّديك) التي كانت توجّهه، وتمدّه بالمعلومات الأمنية، وتتولّى تغطيته ساعة تنفيذ عملياته الإجرامية .

وعاد نشاطه خلال السنوات الأخيرة من ثورة التحرير الوطني شاملا لتراب ألمانيا الغربية، وسويسرا، وبلجيكا، وإيطاليا بعد ما كان مقتصرًا على الجزائر، والمغرب الأقصى في عقب اجتماع الكاف السري²⁶.

- جهاز مقاومة الإرهابيين ❖ بشمال إفريقيا: (Catena)
هو تنظيم إرهابي مُستحدث على يد العقيد "مارسي" المتطرف على هامش تنظيم "اليد الحمراء" الآنف الذكر. وقد كان ذلك بإيعاز من "السديك"، وبمساعدة بعض أصدقائه العسكريين المخلصين، ونفر من قيادي اليمين الفرنسي المتطرف²⁷ وقد اتخذ له مقرا اجتماعيا بقصر "فرساي" بفرنسا لما كان يتحلّى به من أهمية في منظور الاستعلامات الفرنسية²⁸

الشعبة السابعة :

هي إحدى الفروع الثأوية المنبثقة عن "السديك"، وقد كانت تحت رئاسة "لو أروا مارسال (Le Roy Marcel)"، المدعو بـ "فان فيل (FIN VILLE)"، والذي اعترف في كتابه الضخم حول جهاز الاستخبارات الفرنسية بمسؤولية هذه الشعبة عن اختطاف الزعيم المغربي "المهدي بن بركة"، المتحدث باسم الوفد الجزائري في مفاوضات "إيفيان"²⁹. والذي جسّد في تقريره التقييمي، الذي عرضه بوصفه الأمين المنسق لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية على مسامع رئيسها وقت ذاك الجزائري "أحمد بن بلة"،

صورة الإرهاب الاستعماري البغيض المشخص في شخصية "فوكار" الذي يعتبر بحق العقل المدبّر لإنشاء الكثير من التّظيمات السّرية الإرهابية المشار إليها أعلاه³⁰.

فقد عينه اللّواء "دوغول" على رأس الجوسسة الفرنسية، وأسند له مهام إدارة الاستخبارات المكلفة بالشؤون الإفريقية، وبقية المستعمرات الفرنسية عبر العالم. فضلا عن شغله منصب الأمين العام برئاسة الجمهورية الفرنسية. تلك الوظائف الحساسة التي سمحت له بالتغلغل في دوائر القرار النّهائي بالسلطة الفرنسية، وعاد يُمارس ضغوطاته الشّخصية على الرّئيس الفرنسي "دوغول"، ومن ثم كانت في ذمته دماء الكثير من الجزائريين المستشهدين خلال مجازر الإبادة الشّاملة على حدّ تعبير الكاتب المغربي "مصطفى العلوي"³¹.

-تنظيم "النشاط" أو "العمل": (Action)

قصد تدعيم، ومساندة العصابات الإرهابية المتفنّة في الاغتيالات، والإبادة الشّاملة للأهالي بجن، عمدت "السّديك" إلى تشكّيل تنظيم مكلف بالدّعم اللّوجستيكي، أُطلقت عليه تسمية "عمل"، أو "نشاط"، حيث كانت من مهامه الأساسية في مجال الدّعم اللّوجستيكي، هو الإشراف على عمليات الإنزال الجوّي عبر المناطق المستهدفة³²

تنظيم مصلحة العمل : (SAC)

كان إنشاء هذه المصلحة على يد مُناصري اللّواء "دوغول"، وقد تميّز أفرادها المعتدّين في بضع آلاف بحمل بطاقة ملوّنة عليها ثلاثة أشرطة، أحدها أزرقا، والثاني أبيض، والأخير أحمر. رمز ألوان العَلَم الفرنسي دون أن تحمل كتابة، أو أيّة بيانات توضيحية أخرى، حيث كانت تُقدم للشرطة ساعة إلقائها القبض على أحد هذه العناصر متلبسا في إحداث جريمة، فيتركونه لحاله، وكأن شيئا لم يحدث.

ولكن سرعان ما تفرّع عن هذه المصلحة جملة من التّنظيمات الفرعية الأخرى، بغرض اقتراف القتل، والمتاجرة بالمخدرات، وبقية الأعمال "المافيوية" من أجل اختراق القاعدة اللّوجيستكية للثّورة الجزائرية بالخارج³³. وبالتالي قطع عنها عصب المدد، والتّموين بما يُحتاج إليه من سلاح، وذخيرة، ووثائق تأمينية، وما إلى ذلك. ولعل من أشهرها على الإطلاق، تنظيم أصحاب اللّحي

(Les Barbouzes)، المناهض لمنظمة الجيش السّري (OAS) فهم أشخاص كانوا يخفون ملامح وجوههم خلف لحي كتّة، قاتمة اللون، إلّا أنهم سرعان ما تخلّوا عن هذا المظهر البشع، فحلّقوا لحاهم، وخرجوا للنّشاط العلني، ونظرا لضخامة أجسام أغلبيتهم لقبّوا من لدن خصومهم بقردة "الغوريلا"³⁴ (Les Gorilles) " وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التّنبية مرّة ثانية على أنّ اختلاف هذه

التّظيمات، وتصادمها مع بعضها البعض في بعض المرات، لا يعني بأيّ حال من الأحوال أنّها كانت تعبّر عن رفض بعضها للإرهاب في حق الأهالي العزل، وإنّما مردّد ذلك بالدرجة الأولى إلى طبيعة تكوينها القائم على البناء الذاتيّ، أو الماسوني (Franc Maçonnerie) ليس إلّا، فالكلّ ينتمي إلى تنظيم مركزي واحد، وأنّ غايتهم النّهاية واحدة، ألا وهي نصب العداء الشّرس للأهالي، وسلك سياسة "الغاية تبرّر الوسيلة" في سبيل إخماد ثورة التّحرير، وترسيخ أقدام الاحتلال الغاشم بالمنطقة إلى الأبد.

-منظمة الجيش السّري: * (OAS)

عقب إذاعة الخطاب التّاريخي للواء "دوغول (De Gaulle)" ، رئيس الجمهورية الفرنسية بتاريخ 16 سبتمبر 1959م، مُعترفا فيه رسميا بحريّة الشّعب الجزائري في تقرير مصيره بكلّ سيادة، سارع أنصار فكرة الجزائر فرنسية إلى تشكيل تنظيم عسكري مناهض لفكرة الرّئيس الفرنسي، والاستعداد لمباشرة أعمال إجرامية ميؤوس منها³⁵ ولاسيما خلال الفترة الممتدة بين 08 جانفي 1961م، تاريخ الاستفتاء الشّعبي الذي أكّدت نتائجه مرّة أخرى تمسك الشّعب الجزائري باستقلاله الكامل عن فرنسا، و05 جويلية 1962م، تاريخ الإعلان الرّسمي عن الاستقلال الوطني³⁶.

وأمتدّ نشاطها الإرهابي جرّاء ذلك إلى التّراب الفرنسي نفسه، قصد إثارة البلبلة هناك، واستمالة كفة الرأي العام الفرنسي إلى جانبها بلا جدوى، الشّيء الدّي حملها على توسيع نفوذ نشاطها إلى بقية عواصم الدّول الأوربية المجاورة لفرنسا، قصد ملاحقة ممثلي الثّورة الجزائرية في الخارج إلى جانب نشاطها الأساسي المرتكز في الجزائر، والقائم على مبدأ الإبادة الشّاملة، ونهج سياسة الأرض المحروقة بلا هوادة.³⁷

إذ تعود جذور نشأة هذه المنظّمة الإرهابية في واقع الأمر إلى يوم 13 ماي 1958م، تاريخ قيام أنصار فكرة الجزائر فرنسية بمظاهرة احتجاجية عنيفة، انتهت بأحداث شغب، وإقامة المتاريس بمدينة الجزائر العاصمة، وعلى الرّغم من أن هذه الحركة سرعان ما بدأت حدّتها تتراجع إلى أن خمدت بشكل يكاد أن يكون تاما مع مطلع شهر جانفي من عام 1960م. إلّا أنّ بقاء بعض النّشطاء المتطرفين فيها، دفع بهم حماسهم إلى عقد العزم على إعادة إحياء مجد هذا التّنظيم الضائع في مهب الرّيح.

وبالفعل فقد كلّلت نشاطاتهم بالإعلان عن تنظيم جديد هو "جبهة الجزائر فرنسية (FAF)" في بحر شهر ماي من عام 1960م، وفي ملح البصر، أصبحت أكبر تجمع جماهيري عسكري لمناصري فكرة الجزائر فرنسية منذ تاريخ اندلاع ثورة التّحرير الوطني، حيث تظاهر مؤطّروها بالدعوة إلى المساواة بين الأهالي والمعمّرين

في حين كانت نشاطاتهم الميدانية تُفند ذلك، تنفيذاً قاطعاً، شأن عنوان نشرتهم الدورية المعنونة بـ "الجزائر أرض فرنسية." وما كادت تنتهي سنة 1960م حتّى عاد مناضلوها يعتدّون في ستمائة (600) ألف شخص. وتملّك روّادها جرّاء ذلك غرورا كبيرا، واندفعوا بقوة لممارسة النّشاط المباشر. فشرعوا في تدوين شعارهم المثير بألوان الدّم على جدران الشّوارع "الفاف (FAF) "تضرب حيث تريد، ومتى شئت". وهو الشّعار الذي تبنته لاحقا منظمة الجيش السّري بحذافيه مع استبدال كلمة (FAF) بكلمة (OAS) فقط³⁸ وهذا ابتداءً من يوم 20 جانفي 1961م، تاريخ اتفاق بعض القادة العسكريين الفارّين من الجزائر صوب مدينة "مادريد" الإسبانية، المُتهمين من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية بالتحريض على العصيان والتمرد في مظاهرة 13 ماي (1958)م الأنفة الذّكر، أمثال "جين جاك سيزيت (Jean Jacques susuni، و"بيار لاغيار (Pierre Lagailard) "، و"جين كلود بيراز (Jean Claud Perez) "، و"بيراز من "السّديك" دائما.

فولدت منظمة الجيش السّري بعد مخاض عسير لأوّل مرّة في التّاريخ على صفحات الوثائق، ابتداءً من يوم 21 فيفري 1961م³⁹. وبدأ أفراد الجيش الفرنسي الفارّين من الخدمة ينضمون إليها زُرقات، زرفات، وكذلك فلول الأقدام السّوداء، وأهل اليمين المتطرف على وجه الخصوص. فتعرّز جانبها، وعظم خطبها،

وَوُفِّقَتْ إِلَى إِصْدَارِ نَشْرِيَّةٍ بِعَنْوَانِ: "نداء فرنسا" الَّذِي كَانَ يُوزَّعُ مِنْهُ عَشْرَ (10) آلَافِ نَسْخَةٍ مِنْ كُلِّ عِدَدٍ، وَبَرَزَ "جِين جَاك سِيزِينِي"، كَأَكْبَرِ إِيْدِيُولُوجِي لَهَا⁴⁰ حَيْثُ ظَلَّ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّنْظِيمَ الْإِرْهَابِيَّ لَيْسَ بِمَجْرَدِ لَفِيفٍ مُسَلَّحٍ يَكَاغِحُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ تَبْقَى الْجَزَائِرُ فَرَنْسِيَّةً، وَإِنَّمَا هُوَ مَدْرَسَةٌ إِيْدِيُولُوجِيَّةٌ تَحْضُرُ لِنِظَامِ مُسْتَقْبَلِي جَدِيدٍ.

خاتمة :

وصفوة القول، فَإِنَّ الثَّوْرَةَ التَّحْرِيرِيَّةَ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ مُنْتَصَفِ عَامِ (1956) مَ قَفْزَةً نَوْعِيَّةً، مُتَحَدِّيةً بِذَلِكَ أَغْلَبَ الصَّعُوبَاتِ وَالْمَشَاكِلِ الَّتِي كَانَتْ تَكْبِلُ كَاهِلَهَا خِلَالَ الْعَامَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ الثَّوْرَةِ (54 - 1955)م، كَتَأَخَّرَ بَعْضُ التَّشْكِيْلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْوِطْنِيَّةِ لِلِالْتِحَاقِ بِصُفُوفِ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ الْوِطْنِيِّ، وَمَسْأَلَةُ الدَّعْمِ الْوَلُوجِسْتِيكِيِّ، لِأَسِيْمَا مُشْكَلَةُ اقْتِنَاءِ قِطْعِ الْأَسْلِحَةِ، وَخِرَاطِيْشِ الذَّخِيْرَةِ، إِضَافَةً إِلَى إِشْكَالِيَّةِ تَوْحِيدِ أُطُرِ التَّسْيِيرِ دَاخِلَ قِيَادَةٍ عَامَّةٍ وَاحِدَةٍ لِلثَّوْرَةِ. وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي فَصَلَ فِيهِ مُؤْتَمَرُ الصُّومَامِ آنَذَلِكَ، وَمُنَحَ لِلثَّوْرَةِ تَنْظِيمُهَا الْبِنْيَوِيَّ وَالْعَضْوِيَّ النَّهَائِيَّ.

عِنْدَهَا تَأَكَّدُ الْجَمِيعُ فِي الدَّخْلِ وَالْخَارِجِ بِمَا فِيهِمْ السَّلْطَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ نَفْسَهَا أَنَّ الثَّوْرَةَ التَّحْرِيرِيَّةَ قَدْ ضَبْطَتْ فَعْلًا دَوَالِيْبَ عَرِبَاتِ قِطَارِهَا عَلَى سَكَّةِ الْاِسْتِقْلَالِ، وَهِيَ الْآنَ مُتَّجِهَةٌ فِي خَطِّ مُسْتَقِيمٍ، وَبِخُطُوَاتٍ ثَابِتَةٍ نَحْوَ مَحْطَةِ الْحَرِّيَّةِ، الَّتِي لَمْ يَعُدْ

يفصلها عن ذلك غير بعض الوقت، الشيء الذي أثار غائلة الحكومة الفرنسية، ودفع بها للتّحرك على جميع الأصعدة، واستخدام شتى السّبل المتاحة لها من أجل إجهاض المشروع الثّوري الجزائري النّاجح، فكان من جملة ما أقدمت عليه مبدأ سياسة "الغاية تبرر الوسيلة"، وفتح الباب على مصراعيه أمام مختلف مصالح مخابراتها للقيام بحرب الظّل، أو الحرب الموازية التي قلّ ما يذكرها المؤرخون في كتاباتهم حول الثّورة .

الهوامش

- 1 - طلاس (مصطفى)، و العسلي (بسام)، الثورة الجزائرية، دار الشّورى، بيروت، الطّبعة الأولى، 1982، ص 155
- 2 - سعد (فايزة)، سنوات الدّم .. تجربة الثورة الجزائرية، نشر مطابع روز يوسف، القاهرة، 1989م، ص 32 .
- 3 - نفسه، ص 107
- 4 - نفسه، ص 107 .
- * حول تفاصيل مشروع "سوستال" بنقاطه العشر، ينظر على سبيل المثال لا التّخصيص والحصر: سعد (فايزة)، مرجع سابق، ص 108 - 109
- 5-Courrière (Yves), La guerre d'Algérie le temps des léopards, Editions Rahma, Alger, 1993, pp 17 -1
- 6- طلاس، و العسلي، مرجع سابق، ص 153 .
- 7 -البجاوي (محمد)، الثورة الجزائرية والقانون، دار اليقضة العربية، دمشق، 1966، ص 211، 224؛ 325 - 348، نقلا عن: طلاس، والعسلي، مرجع سابق، ص 153 .
- 8 - طلاس، والعسلي، مرجع سابق، ص . 155
- * إشارة إلى بقية الجزائريّين المحبوسين، أو المعتقلين مع الضّحية، حتّى لا تُفشى أسرار ذلك.
- 9 - طلاس، والعسلي، مرجع سابق، ص 155 - 156 .
- 10 - نفسه، ص . 156

- 11- Courrière, Op .cit, 17.
- 12-Ibid, p19.
- 13- Courrière, Op .cit, p 17.
- 14-Ibid, p 17.
- 15- Courrière, Op .cit, p172 .
- 16-Ibid, p 173

17-Ibid, p 173.

18-Ibid,p174

19- Courrière, Op .cit, p 175.

20-Ibid, p 172.

"*السّديك": لفظ على سبيل الاختصار لمصلحة التّجسس، ومكافحة التّجسس في

نظام الاستخبارات الفرنسية "Service d'espionnage et de contre (SEDEC)

"espionage"، تأسست هذه المصلحة في 28 ديسمبر 1945م على أنقاض مديرية

حراسة التّراب الفرنسي "Direction de la Surveillance du Territoire (DST):"

التي أنشأها الإمبراطور "نابليون" عام 1899م. فعادت بذلك الأولى من نوعها في تاريخ

جهاز الأمن الفرنسي، وذلك بوصفها أوّل جهاز قومي يتولى الاستعلامات الخارجية؛

كما يدل عليها اسمها (مصلحة التّجسس ومكافحة التّجسس)، حيث آتخذ لها مقراً غير

بعيد من مسبح عمومي، يُعرف بمسبح "توريل". كان يقع في شارع

"موريتي" بالعاصمة الفرنسية باريس، والذي استوحت منه اسمها المستعار بين أهل

باريس (المسبح). وقد عُيّن على رأس هذه المصلحة لأول مرّة السيّد "هنري روبيير "

(Henri Robert) لما كان يتحلّى به من ثقة لدى اللّواء "دوغول"، مُحرر فرنسا وقتها من

البطش النّازي، ويوصفه مُتخرّجاً بشهادة عليا في فلسفة الجوسسة، وحافظ أصول أقدم

كتاب معروف في العالم حول الجوسسة، ألا وهو كتاب "جذور الإستراتيجية " لمؤلفه

الفيلسوف الصّيني "سون تزو" الذي ألفه في حدود القرن الخامس (05) قبل الميلاد، وتُرك

لهذا المدير اليد الطّولى في بناء هذا الجهاز المستحدث، ورُصدت له أموال هائلة

لتجهيزه بكلّ ما يلزمه من حاجيات، وتابع بنفسه انتقاء عشرة (10) (آلاف من أخبث

عناصر الجيش الفرنسي، وأثقلهم بالسّوابق العدلية، وشكّل منهم أذرع الأخطبوط

الجديد. وفي لمح البصر، صار هذا الجهاز دولة خفية قائمة بذاتها في داخل دولة أكبر

منها، دون أن يستطيع أحد تمييز حدود نهايتها، ولا معرفة تركيبة تنظيمها بشكل

واضح.

21 -العلوي (مصطفى)، المهدي بن بركة للحقيقة والتّاريخ، نشر دار الآفاق الجديدة،

بيروت، 1984، ص 50.

22 -العلوي، مرجع سابق، ص 49. 50 -

- 23 -نفسه، ص 57 – 58 .
- 24 -العلوي، مرجع سابق ، ص 51 .
- 25 -نفسه، ص 51 .
- 26 -الدّيب (فتحي)، عبد النّاصر وثورة الجزائر، نشر دار المستقبل العربي، القاهرة، الطّبعة الأولى، 1984م، ص 527؛ العلوي، مرجع سابق، ص 52 .
- *يعني الثّوار والمناضلين النّشطين في صفوف الحركة الوطنية المغاربية .
- 27 -العلوي، مرجع سابق، ص 51، 56 .
- 28 -الدّيب، مرجع سابق ، ص 527 .
- 29 -العلوي، مرجع سابق، ص 13، 36 ، 109 .
- 30 -نفسه، ص 110 – 111 .
- 31 -نفسه، ص 111 .
- 32 -نفسه، ص 49 .
- 33 -العلوي، مرجع سابق ، ص 49 .
- 34 -نفسه، ص 58 .
- *أكثر تفاصيل حول خفايا هذا التنظيم، ينظر على سبيل الدّكر: الديب، مرجع سابق، ص 524 – 527؛ سعد، مرجع سابق، ص 219 – 220 .

35-Benjamin stora) et AKAM (Ellyas), les 100 portes des Maghreb l'Algérie le Maroc la Tunisie trois voies singulières pour allier islam et Modernité .Editions de l'atelier, Paris /Editions Dahlab, Alger, ,1999, p245 .

36 -الديب، مرجع سابق، ص 524

37-Benjamin, Op.cit., p 247.

38- Ibid, p 245.

39- Ibid, p 245.

40- Ibid, p 245.